

Political Threat in Nigerian Arabic Poetry: Reading from Selected Poems

Sulyman Ibrahim Gurumoh

Federal University Kashere, Nigeria

gurumohbilal@gmail.com

الجور السياسي في الشعر النيجيري، قراءة في نماذج مختارة.

الدكتور سليمان إبراهيم غروما

قسم اللغات، جامعة كاشيري الفيدرالية، ولاية غومبي - نيجيريا

الملخص:

إذا كان الشعر السياسي هو الشعر الموجه للإصلاح السياسي من منطلق فكري، سواء أكان هذا الفكر وطنياً، أو قومياً، أو إسلامياً، أو غير ذلك، فإن أدباءنا النيجيريين لم يكونوا بمعزل عن المشاركة في تسخير طاقاتهم الفنية لهذا الإصلاح، إذ الشعب النيجيري كان واحداً من الأفارقة الذين كانوا يعانون - هم وغيرهم - من مواطني دول العالم الثالث وطأة الظلم والظلمة، نتيجة للأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة. وقد كان هذا الوضع مصدراً يستمد منه الشعراء مادةً لإبداعاتهم، وهذه المقالة عبارة عن إبراز محاولات بعض شعرائنا النيجيريين الذين شهروا أسلحتهم الفنية أمام الساسة الجائرين، الذين لا يرقبون في شعبيهم إلا ولا ذمة، ويسوسونهم حسبما تملي عليهم أهواؤهم وشياطينهم، بل قام هؤلاء الشعراء يتغنون بما يعاني منه المواطنون من المهن والشدائد، وهذه الفكرة شائعة بين شعرائنا منذ أن بدأت الأوضاع السياسية تتدهور في أواخر سبعينيات القرن العشرين الميلادي، هذا، لقد انتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة هذا الموضوع، كما أنه نوصّل إلى بعض النتائج والتي منها: - أن الجور السياسي الذي نشكو منه اليوم ليس حديث العهد، بل توغل في القدم، ذلك أن قصيدة عيسى ألبى التي عنوانها "المعدّبون في الأرض" قالها أكثر من عقدين ونصف عقد. مما سوف نقف عليه في هذه المقالة.

Abstract

Political threat in Nigerian Arabic poetry: Reading from selected poems

If political poems are a poem to control the politics in different levels: internal, local or Islamic points of view and other aspects, our Nigerian literary could never be fenced out in using their art capacity to control and adjust Nigerian citizens. Nigeria is one among the African countries whose citizens face the challenge of oppressions from their leaders in the third-world states as a result of bad political and economic status. This condition is a source of inspiration for the poets. This paper is an explanation to show the struggles of part of Nigerian poets, those who sharpen their swords before the corruptible leaders, those who do not care about their followers except with threat based on their political interest and satanic ideas over shadow them. But our poets stood against these barbaric acts with their poems since the political status has derailed around late 70's in the 20th century A.D. The writer chose the analytical method to treat this topic and he was able to reach our results which include that political threat is not today's baby but ever since. The poem of professor Issa Alabi, titled "The cheated people on earth" was written quite long as two and half decades.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

هذه المقالة عبارة عن محاولة إبراز جهود الشعراء النيجيريين في مقاومة الوضع السلبي المتمثل في الجور السياسي، الذي يتكبده الشعب النيجيري، وقد اختار الباحث خمسة من بين هؤلاء الشعراء لتكون دراسته على بعض إبداعاتهم الشعرية. ولمعالجة هذا الموضوع، يرى الكاتب اتباع النقاط التالية:

حديث موجز عن سياسة نيجيريا.

دراسة النماذج الشعرية المختارة.

الخاتمة.

النتائج

الهوامش والمراجع.

الحالة السياسية في نيجيريا:

عند ما أذن الاستعمار البريطاني للذهاب، وتسليم إدارة الدولة لأبناء نيجيريا، وطبقاً للقرارات المتفق عليها في المؤتمر الدستوري الذي عقد في لندن عام 1957م، والأحر في لاغوس عام 1958م، أجريت الانتخابات العامة في ديسمبر 1959م لاختيار أعضاء مجلس النواب، وهناك تم اختيار الحاج نفاوا بليوا ليكون رئيس الوزراء، والدكتور إنمدي أركوي الحاكم الوطني، والذي تحوّل فيما بعد رئيساً

للجمهورية، عندما بدأ تطبيق الدستور الجمهوري عام 1963م، وكان أُوْبَاقِيمِي أُوْوُوُوُ رئيس المعارضة في المجلس. والبلاد عهدت مقسمة إلى ثلاثة أقاليم، الإقليم الشرقي، والإقليم الغربي، ثم الإقليم الشمالي، هكذا كان النظام السياسي في نيجيريا بعد الاستعمار إلى أن سيطرت الحكومة العسكرية التي تخيمت على البلاد في الفترة التي لا تقل عن ثلاث عشرة سنة ونيف، من 1966\1\15 - 1979\10\1⁽¹⁾.

عادت البلاد إلى الحكم المدني مرّة ثانية في أكتوبر، 1979م، وهذا ما يعرف في التاريخ النيجيري بالجمهورية الثانية، وكان النظام السياسي هذه المرة يعرف بنظام سياسي (p/s)، بدأت هذه الحكومة بتشكيل الأحزاب السياسية، والتي تم تسجيل خمسة منها من قبل هيئة الانتخابات (fedeco)، والحزب الفائز وقتئذ هو الحزب الوطني النيجيري (N.P.N)، والذي رئيس الجمهورية آنذاك هو الحاج شيخو عثمان علي شغاري. جاءت النهاية لهذه الحكومة المدنية الثانية بانقلاب عسكري بقيادة محمد بخاري وبابا تَنَدِي إِدَابِينُ، والسبب في هذا الانقلاب راجع إلى أن السياسيين في الجمهورية الثانية لم يكونوا على أحسن حال من السابقين لهم في الجمهورية الأولى، حيث انتشر على أيديهم الفساد والتبذير والفضى مما دفع بالعسكريين إلى سلب السلطة منهم.

توالى على السلطة العسكرية في هذه المرّة حقبة من الزمن، إذ شهدت البلاد انقلابات عديدة في هذه الفترة العسكرية الزمنية سجلت لنا ثماني حكومات عسكرية مختلفة، مما يربنا أن العسكريين حكموا هذه البلاد حتى الوقت الراهن فيما لا يقل عن تسعة وعشرين عاما. والملاحظ هنا هو أنه خلال هذه السلطة تم تشكيل الأحزاب السياسية زمن إبراهيم بابا انغدا، و ثاني أُنْشَأَ بِنْيَةِ رَدِّ السُّلْطَةِ إِلَى المَدْنِيِّينَ، لكن هذه الخطط كلها عبارة عن العوبة، وخير شاهد على هذا هو إلغاء أنزه الانتخابات في تاريخ نيجيريا، والذي تم اختيار مشهود أَعْوَلَا رئيسا للجمهورية تحت الحزب الاجتماعي الديمقراطي (S.D.P).⁽²⁾ وعلى هذا الإلغاء يقول عيسى البني في إحدى سباعاته:

يا قوم كـتـا في البلاد شهودًا ** لَمـا أهان طغـانـتا مشهودًا
ورموه في جب المنية بعدما ** رفعوه حسب مكانه محمودا
في يونيو انتخبوا رئيسًا عـرـشه ** قـعـر السجون وقلوبه قيودا
في يونيو جعل الطغاة أسودنا ** ذات البرائن والنفسود قرودا
في يونيو جعل الشرار بلادنا ** أرض الضغينة والنزاع جودا
في يونيو ظهرت سياستهم لنا ** نحسا وترجي أن تكون سعودا
قد مر عقد بعد ظلم طغـانـتا ** مشهود هل يرضي الممات حسودا⁽³⁾

هكذا ظلّت الحال طوال عهد أُنْشَأَ حتى وافته المنية، وآل زمام السلطة إلى عبد السلام أوبوكر الذي ردّ السلطة إلى المدنيين بعد إجراء الانتخابات تحت الأحزاب الثلاثة المشكّلة:

- حزب التحالف للديمقراطي (AD, Alliance for Democracy)
- حزب المواطنين (APP, All Peoples Party)
- الحزب الشعبي الديمقراطي (PDP, Peoples Democratic Party)

هذه هي تلك الأحزاب التي شاركت في الانتخاب عام 1999م، والذي فاز فيه مرشّح الحزب الشعبي الديمقراطي، المتمثل في شخصية الزعيم أُوْلوْشِيغُوْ أُوْباْسِنْجُوْ، وتم تسليم القيادة له في يوم 29\5\1999م. ومنذ ذلك الحين أصبحت البلاد تحت الحكومة المدنية الديمقراطية، وإن كان الشعب النيجيري صار وا مغلوبين على أمورهم تحت هذه السلطة مما أنطق بعض شعراء الوطن بتسجيل انطباعاتهم، وآمالهم، وآمالهم في بعض إبداعاتهم الشعرية، والتي سوف نقف على بعضها في هذه المقالة.

دراسة النماذج الشعرية المختارة

إن الحالة السياسية السيئة التي تعاني منها نيجيريا اليوم ليست حديثة العهد، بل توغلت في القدم، لأننا إذا تتبعنا مسيرة هذه الحالة يمكن أن ندرك أن هذه البلاد كانت تقاسي هذه المرّة لما يربو على ثلاثين عاما، والأدباء النيجيريون ما كانوا ليضعوا أيديهم على خدودهم ساكتين، بل شهروا أسلحتهم الفتية لمقاومة هذه الظاهرة وتصويرها، حتى الفنانين الشعبيين هم الآخرون قد أسهموا إسهاما كبيرا في الحديث عنها، أمثال: ذِكْرُ أَيْدِي بَرَسْت (Sikiru Ayinde Barister)، و كُولِنْتُنْ أَيْنْلا (Kolingtin Ayinla)، وهارون إشولا (Haruna Ishola)، ومن لف لفهم، إلا أن هذه المقالة ستكتفي بدراسة بعض نماذج شعرية من إبداعات الشعراء الذين سجلوا انطباعاتهم لهذه الظاهرة المؤلمة بموهبتهم الشعرية العربية، وعلى رأسهم عيسى ألي⁽⁴⁾، الذي يعدّ الطليعة من بين هؤلاء الشعراء النابهين.

كان عيسى ألي شاعرا وطنيا اجتماعيا قلما توفته حادثة ولم يسجلها بموهبته الشعرية، الأمر الذي يجعلنا نراه وهو يتحدث عن هذه الحالة التي أدرك الشعب النيجيري أنفسهم اليوم فريستها، يتحدث عنها - والحزن ملأ أرجاء قلبه - في قصيدة قالها عام 1989م، بعنوان: "المعدّبون في الأرض"، وعيسى في هذه القصيدة يصور تلك الحالة السياسية والاقتصادية على السواء، إثباتا أن سوء السياسة هو الذي أحدث هذه الأزمة التي كنا بصدد الحديث عنها.

بدأ عيسى ألي هذه القصيدة بتصوير سياسة نيجيريا التي يقودها السياسيون الجائرون، ويصورها في أبشع صورة، حيث كانت لا تزيدنا أملا ورجاء إلا هموم القلوب، وهي السياسة التي صيرت الأعرّة فينا أدلةً وأصبحوا لا يستطيعون نفع أنفسهم، ولا أهلهم ينتفعون بهم. هؤلاء الساسة قد عرّفوا عظام الشعب بأفعالهم المليئة بالشوم حتى اضطّر المواطنون إلى الرضا بالمسغبة. كما أنهم لا يهتمون بأمور الشعب كما ينبغي، إذ إنهم لا يُحسّون ما يتضرّر به الشعب من شظف العيش وضناكته.

هذا، لقد أسلفت القول: إن شعراءنا النيجيريين قد أسهموا إسهاما كبيرا في مواجهة هذه الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها الشعب النيجيري منذ أمدٍ بعيدٍ بإنتاجاتهم الأدبية الفكرية. وها هو الدكتور داود أديكيلينك تيجاني⁽¹⁰⁾ هو الآخر يشكو من الحكومة الجائرة المتمثل في حكومة الجنرال أبتشا

تناول الشاعر في هذه القصيدة عدة أفكار تدور جميعها حول ما يراه الشاعر من الجوانب السلبية في سياسة الحكومة العسكرية للجنرال ثاني أبتشا، بدءًا بسرد السلوكيات السياسية السلبية التي تبنتها هذه الحكومة وقتئذ، والتي لا تسمع ولا تحكم إلا بالهوى، وعدم الوفاء بالعهود، وسياسة "فرق تسد" وإدارة البلاد كأنهم بهائم، وتخيب آمال الشعب لأنهم كلما يرجون منها خيرًا تمنحهم شرًا، وهم يتضررون كمن لسعه العقرب السام، وأنها توقفت تماما عن الحركة وكأنها العرجاء التي لا تملك المشي ولا يعتنى بأمر الغير. وقال إنها تعدُّ البلاد مرارًا وتكرارًا بدون وفاء، والشاعر هنا يشير إلى الوعود التي قطعتها حكومة بينغدا على نفسها بانتقال السلطة إلى المدنيين بدون جدوى، وما إلى ذلك من الخصال القبيحة المنتشرة في تلك الحقبة في نيجيريا. ويمكن الوقوف على هذه النقطة في الأبيات التالية:

ما هذه الحكومة الصماء	حكومة تحكم بالأهواء
يا عجباً لهذه الحكومة	حكومة يكرهها الجمعاء
يا قوم ما لهذه الحكومة	تفقدنا فكأنها عمياء
حكومة ليست تميز	بين البيضاء والسوداء
حكومة تحكم في البلاد	كما تشاء لا كما نشاء
حكومة تجود لا بالمال	لا بالهدايا بل ولا بالماء
لا مرحباً بهذه الحكومة	حكومة تجود بالبأساء
حكومة تعدنا صلاحاً	وتسوسنا سياسة شعواء
تسوقنا فكأننا بهائم	أو أن في أعيننا غطاء
نطلب منها سمكا وخيزا	وهبتنا حية رقطاء
قد لسعتنا لسعة شديدة	كلسعة العقارب السوداء
تذهب لا إلى اليمين لا إلى	الشمال لا الأمام لا الورا
كأنها لا تستطيع مشياً	فكأنها في مشيها عرجاء
كأنها ليس لها بغير	في الحقل بل لا ناقة عمياء
حكومة تعدنا وتتكث	وتعد ثانية بلا وفاء
وتعد الثالثة ورابعة وخا	مسة وسادسة بلا حياء
حكومة لا تعرف العدالة	حكومة لا تعرف الصفاء
حكومة في الأرض كانت تفـ	سدولم تخف عاقبة الأشياء
حكومة تعامل الاحرار	فكأنها تعامل الإماء
حكومة تبتذر النفيس	تبتدب صاحب معلقة عمياء
حكومة تبتذر النفيس	تبتذير من ليس له اهتداء
تمحو عن القلوب حب الخير	وتغرس الشح مع البغضاء
ترشو وترشى كأن هذا	موافق لشريعة السماء
تقول شيئاً ثم تفعل غيره	فكأنها لا تعرف الحياء
وتتكث العهود كل يوم	ولم تكن تؤمن بالجزاء
تمشى بنا من تعب لآخر	وتجرنا دوماً إلى الورا
قد سكت من كان فينا ينطق	بالصدق والعدل ولا الرياء
حكومة تعنف الرجال	حكومة تلعب بالنساء
تفرق البنين والبنات	وتفتن الآباء بالأبناء
حكومة تعطل العمال	وتتعبد الفقير والأغنياء

حكومة تنهى عن المعروف	تأمر بالمنكر والفحشاء
حكومة تغفو عن الحقيقة	كأن مقلة عينها رمداً
حكومة لا تكرم الملوك	ولا الأساتذ والأطباء
حكومة تلعب بالأديان	وتعتنى برنامج استهزاء ⁽¹¹⁾

ثم أخذ الشاعر في تسجيل أماكن فشل هذه الحكومة وجورها للشعب النيجيري، ذلك أنّ الدولة مع كثرة مواردها المعدنية، إلا أنها تحوّلت أرضاً جذباء أكلت الجراد نباتها، حيث أقفلت المدارس الحكومية عن الأطفال، وموتت الأسواق والمراكز التجارية والمصانع، وبذلك انغلقت الموارد المالية على المواطنين وصيرتهم فقراء، مع أن بنوك الدولة تنزاد لكنها بدون تحقيق الهدف المرجو منها. بينما وجدت المستشفيات خالية من الأطباء الأكفاء، وفقدت المؤسسات التعليمية فعاليتها فالجامعات ومراكز العلوم والمعاهد كلٌ تجري إلى الوراء، وأدت ذلك إلى ارتفاع عدد الجهلاء والأميين. على نحو ما جاء في الأبيات الآتية:

حكومة لا ترحم البيتامى	ليلاً نهاراً تسفك الدماء
فأرضه الخصيبة المعسولة	قد صيرتها جذبة جرداء
إذ أقفلت مدارس الاطفال	وصيرت أسواقنا صحراء
وموتت مركز التجارة	وغلقت موارد الشعراء
وقتل كذلك المصانع	صيرتها كلها قفراء
أما البنوك فهي في ازدياد	بل سراب ليس فيه ماء
مستشفيات فطرنا نراها	بلا طبيب وبلا دواء
ومعاهد العلم كجامعات	دارت جميعها إلى السوراء
ومراكز العلوم والبحوث	هجورة كلا بلا حياء
وقتلت بذاك روح العلم	ارتفعت جهالة الجهلاء ⁽¹²⁾

وها هو عبد الرزاق عبد العزيز⁽¹³⁾، هو الآخر يندد على حكومة نيجيريا في قصيدته التي عنوانها " آفات البطالة وأضرارها" مصرحاً ومفصلاً عن أضرار هذه الخصلة القبيحة تشقي الخلائق لأنها فتنة كبرى كاد يشيب من أفاتها الولدان، وهي في الوقت ذاته ، تهدد كيان البلاد لأن شيطانها يتصرف كيفما شاء مختالاً، ومفشيّاً جرائم هذه الآفة في أرجاء البلاد، لأن جميع البلايا التي تحدث في البلاد تمتد جذورها إلى هذه البطالة، حتى نرى بلادنا نيجيريا هاجت وماجت من جراء هذه البطالة التي كادت تملأ الأرجاء، فأبرزت الطغاة الذين يكثر صفو مياء البلاد، فترى العاطلين البطالين مع وفرة علمهم يشقون ويتعبون ، ويدعون بالويل والثبور من جراء الحالة الاقتصادية السيئة التي أعقبها الجور السياسي من قبل ساستنا الجائرين، وأصبح أولاد هؤلاء العاطلين خدماً لأتريابهم، وقلوبهم لاتعرف الراحة ولا الاستراحة لأنهم مرقون بتضاعف الأعمال.

إن البطالة أيها الإخوان	** يشقي الخلائق إنها فتان
ألم البطالة ما أشدّ بلاءه	** كادت تشيب لهوله الولدان
هي فتنة كبرى تصيب بناها	** ألعاطلين وما لهم معوان
هي آفة عظيمة تهزّ بلادنا	** يختال في محرابها الشيطان
كم سجّل التاريخ من أضرارها	** عبر القرون وضمها الديوان
منها الجرائم تستمدّ جذورها	** تهن العظام كأنها ثعبان
أفاتها ماجت بها نيجيريا	** فيحلّ في أرجائها الطغيان
فشلت جهود العاطلين وأخفقت	** لم يثتم عن فقرهم عرفان
منهم نرى الأحذاق يملأها الأسى	** واغرورقت بدموعها الأجنان
أولادهم خدم وتلك بناتهم	** يبكين جوعاً، عندنا برهان
وقلوبهم لاتستريح من الضنى	** والعقل منهم واله حيران ⁽¹⁴⁾ .

ثم إن الشاعر عبد الرزاق أخذ في بيان سبب توغل هذه الآفة (البطالة) في بلاد نيجيريا وانتشارها فيها، أننا فقدنا في نيجيريا الحكام المدعنين للدستور الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، الذي فيه هدى للمتقين، وما ضلّ من تمسك به، لأنه هو العروة الوثقى، والحبل المتين، إن إعراض هؤلاء الحكام عن هدي هذا الكتاب جعلهم لايهتدون سواء السبيل في سياستهم، ممّا ألجأهم إلى بيع معظم مصانعنا التي لو قامت على قدم وساق كما ينبغي لانتفع منها الشعب، ولولت عنا البطالة مُمعنة في الهرب، حائبة التراب على الرأس. كما أن انقطاع الكهرباء هو الآخر سبب في تعطيل معظم الشعب النيجيري الذين اتخذوا الحرف مهنة يتكسبون منها لقوت يومهم، ومن

هذا وذاك تسربت فتن البطالة في البلاد وأحدثت لنا الدآل والهوان الاقتصاديين. وكل هذه بعد ما أفاد الشاعر بأن نيجيريا هي بلدة تتمتع بالخيرات المعدنية التي خصها الله بها، كما أن أبناءها شهد لهم بالعقول الناضجة، من عالم بيني العقول، أو عامل يسعى بعمله في إسعاد الغير، أو مهندس يظهر نتاج فكره في شق الطرق، أو باحث طبي يُجهد نفسه في إنقاذ المرضى، ومع كل هذه الميزات التي تميّزت بها نيجيريا، إلا أن جور ساستنا وقيادتهم السيئة التي تمسكوا بها تركتنا في هوة الاقتصاد السيئ البعيد غورها. هذه النقطة يمكن الوقوف عليها في الأبيات التالية:

نيجيريا بلد المعادن كلها ** فتنشّطت في كشفها البلدان
 بلد له من كل فيّ حظّه ** ألخير فيه وابل هطّان
 وتكثّرت أبنائها وعقولهم ** نضجت وقدر نضجها الأكوان
 من عالم بيني العقول، وعاملٍ ** فيه الإرادة عزمه الإحسان
 ومزارع يسقى الحقول بجهدّه ** ملأ الأمان ضميرَه وحنان
 ومهندس تأتي حصائد فكره ** في شقّ دربٍ، ما له شأن
 أو باحثٍ في طبّه ومفكرٍ ** رسم الحياة وما له نقصان
 لكنها فقدت من الحكام منّ ** سيقوده في حكمه القرآن
 فتعلّطت أبنائها بعد انقطا ** ع الكهرباء ولا يضيء مكان
 باعت حكومتنا مصانعنا التي ** تُرضي القلوب فتسرق الأوطان
 فتسربت في البلد بعد ثبوته ** فتنّ البطالة، إنها لهوان (15).

وزبدة القول أن الشاعر عبد الرزاق عبد العزيز في هذه القصيدة يلحج إلى حالتنا الاقتصادية التي تربعت وتخيّمت على سماء نيجيريا ولم تجد لها الحكومة النيجيرية حلاً حاسماً.

وها هو عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي⁽¹⁶⁾ يوجّه لومه الصريح ونقده اللاذع للسياسة النيجيرية، وذلك في قصيدته التي نظمها في احتفال نيجيريا بمضي عشر سنوات متواصلة على الحكم الديمقراطي. ويقول: إنه غير معقول أن يقام عيداً أو حفلة للسياسة في البلاد التي تملك أمرها الإجراء والتقهقر وعدم تحقيق المخططات التي يضعونها بالفم فقط. ويتساءل: هل شهدت البلاد تنعمًا، أو تقدّمًا، أو وفاء عهد، ونفي بؤس الحياة عن الشعب؟، وهل نال فيها الضعفاء منالهم حتى يحقّ لهم التعيّد بالديموقراطي؟، ثم بيّن أنّ ممّا زاد الطين بلّةً هو تزايد البطالة في البلاد، وضيق المعيشة الذي يعاني منه طلاب المدارس، والأدهى والأمر هو أنّ جميع المواطنين في ظلام دامس كمن في القبور، يقول:

عيد السياسة في البلاد يلام ما لم يمت بين الورى إجرام
 عيد السياسة في البلاد تقهقر إن خاب في تخطيطها أحلام
 هل في البلاد تنعمٌ وتقدّمٌ والشعب من بؤس الحياة لناّم؟
 هل في البلاد وفاء عهد يا تُري أوه، وهل سعدت بنا الأيام؟
 هل في السياسة للضعاف منالهم ونصيب من يهوى الوفاء ملام؟
 زاد البلاد بطالة وبنو النهى قد حرّموا وعلى عناء داموا
 يتأبطون طلاب عيش طيّب بملفهم وعلى الوجوه ضرام
 يغشى المواطن والبلاد غنية سحب الظلام وموجها أو هام
 فكأنه في اللحد من ظلماته حق يضيق من العثار مقام (17)

ثم قال إن السياسة قد خيبت آمال المواطنين، وأن مضي عشر سنين لا يجلب لهم إلا الخيانة، إذ إن معظم هؤلاء السياسيين أنانيون يسعون وراء ملاذاتهم ومصالحهم الشخصية، وأصبح الجهول مقلداً بالسوام، والدرع على عنقه يدور، إذ ليس هناك قائد أو إمام يُصلح الأحوال. يقول:

أرى السياسة خيرها ورجاؤنا فيها يخيب وما بها إحكام
 دوما يطالعنا اصطلاحات على نقص التي يسعى لها عوام
 عشر سنين مضت فهل تمضي بها روح الخيانة والأمان حرام؟
 عشر سنين جرت فهل تجرى بها ذاتية وعلى الجهول وسام؟
 تلك السياسة خنفت وتحولت معراج فوضى والحياة سهام (18)

وهذا الشاعر هبة الله⁽¹⁹⁾ قد هاله ما آلت إليه حالة نيجيريا، سياسياً واقتصادياً، حتى اضطرَّ إلى قول قصيدة بعنوان "بلادي"، وهو في هذه القصيدة يحاول وصف حالتنا التي حُقَّ لها الرثاء، ويقول في غاية التحسر والانعطاف: إن بلادنا قد عمَّها البلاء من كلِّ جانب، وذلك من جراء تأخرنا سياسياً حتى تسرَّب إلى قلوب الشعب اليأس، ولم يبق في صدورهم التفاؤل ولا الرجاء الذي يثلجها، لأن الفقراء الذين هم الطبقة الدنيا من المواطنين لا يكادون يملكون قوت يومهم فضلاً عن امتلاك ما يستر عوراتهم، أو ما يقي أقدامهم من وطأة الأحجار، يشبع الشعب ساعةً ويجوعون حولاً، لسوء الحالة الاقتصادية. وعلى هذا يقول الشاعر:

ونشبع ساعةً ونجوع حولاً ** ولم يك في الموائد ما نشاء
فأدى الأمر بيأس ذو ذكاء ** ويمرع في الفنا فخراً شفاء
تفاؤل صدرنا ضلَّت خطاه ** ولا يغني من السير السناء
مشى الفقراء عن شطف عراة ** وعن أقدامهم هجر الحذاء⁽²⁰⁾

ولم يزل هبة الله يحمل على جور سياستنا الذي هو السبب الرئيس في تفاقم هذه المشكلة الاقتصادية التي عمَّت أرجاء البلاد، ويقول: إنها سياسة جوفاء لاخير فيها، لأنها كالتماثيل التي لا مضاء لها، أو كالخشب المسندة، وأصبحنا مبتلين بها لأنها ليست على هدي من ربنا، والساسة هم الآخرون مجرمون، قساة القلوب، ليس لديهم أدنى رحمة ولا أقلَّ رافة لشعبهم، إذ دأبهم تطفيف حظوظنا واغتصاب مسراتنا، وسوء تصرفاتهم في منفعة البلاد، حتى أدى بنا الأمر إلى إسناد هوية نيجيريا إلى التدنيس وأصبحت سُمعتنا مشوَّهة. ويمكننا أن نلمس هذه الأفكار في الأبيات الآتية:

سياستنا تماثيل الشعور ** أ يمكن للتماثيل المضاء
بلينا في سياستنا وليست ** على هدي فساستنا بلاء
لدينا ساسة شربوا دمانا ** ونرقص إن أتى منهم عطاء
وظفَّ حظنا رؤساء سوء ** ونضحك إن تجمعنا اللقاء
كما اغتصبوا مسرتنا نهارا ** وضاق الحال فانتحر الهناء
فمنفعة البلاد تصرَّ فوها ** على ما لا يباركه الذكاء
وقد أفشوا بذلك مشكلات ** إلى أعراضنا البرأ أساوا
فأصبح اسمنا اسماً مضافاً ** إلى التدنيس فابتعد الثناء⁽²¹⁾

لم يكتف الشاعر هبة الله بالحديث عن حالة البلاد السياسية بل التمس لكل هذه الأجواء الممقوتة علَّةً وسبباً، فأعرب أن من تلك الأسباب والعلل الرشوة التي جعلناها مرقاة إلى المقصود، وكذلك الظلم الذي أصبح حالاً بيننا، مع أن الظلم ظلمات يوم القيامة، وكذلك منها الجهل الذي تقشَّى بين شبابنا، وهو مما يندى له جبين العقلاء، لأنه هو أصل جميع هذه البليات التي نشكو منها، لأن من رُبِّي على جهل فإنه لا محالة سيعود عدوًّا لمربيته. يقول الشاعر:

جعلنا رشوة مرقاة قصد ** بدون طريقها يشقى الرجاء
وكان الظلم في بلدي حلالاً ** وظلم ظلمة وكذا شقاء
ومما يقلق العقلاء مثلي ** شباب جاهلون فذاك داء
إذا كان الشباب بغير علم ** سيفك عن غباوتهم دماء
ومن رُبِّي بجهل عاد يوماً ** عدوُّ بلاده هكذا القضاء⁽²²⁾

النتائج:

تتلخص نتائج هذه المقالة فيما يلي:

- أن نيجيريا مع كونها من الدول الغنية في العالم، إلا أنها كانت تعاني من الحالة الاقتصادية السيئة من جراء الجور السياسي الذي تخيم على أرضنا.
- أن السياسة التي نمارسها في نيجيريا ليست سياسة راشدة، مما خلَّفت بعض السلبات في حياة الشعب النيجيري.
- أن الجور السياسي الذي نشكو منه اليوم ليس حديث العهد، بل توغَّل في القدم، ذلك أن قصيدة عيسى ألبى التي عنوانها "المعذبون في الأرض" قالها أكثر من عقدين ونصف عقد.
- أن أديابنا النيجيريين ليسوا في معزل عما يجري في بيئاتهم، مما جعلنا نراهم يشهرون أسلحتهم الفئحة كلما دعت الحاجة إليها.

الخاتمة:

انطلقت هذه الجولة القصيرة بعد الملخص والمقدمة من الوقوف على حالة سياسة نيجيريا منذ عام الاستقلال إلى الوقت الراهن، قبل دراسة النماذج الشعرية المختارة، مما يكشف النقاب عن إسهامات الشعراء النيجيريين في مقاومة الجوانب السلبية التي أحدثتها سياستنا الجوفاء.

صلب الهوامش والمراجع

- 1- صالح محمد جمعة الأشو، الشعر العربي السياسي لعلماء بلاد يوربا، نيجيريا: دراسة نقدية، رسالة الدكتوراه قُدمت إلى قسم اللغة العربية، جامعة إورن، إورن، سنة 2011م، ص: 78 تصرف يسير.
- 2- المرجع نفسه، ص: 82
- 3- عيسى ألي أوبكر، ديوان السباعيات، مطبعة النهار للطبع والنشر والتوزيع، 7، شارع الجمهورية، عابدين، 2008م، ص: 72
- 4- هو عيسى ألي بن أوبكر بن جمعة الإلوري، المولود سنة 1953م بمدينة كوماسي بدولة غانا، قرأ القرآن الكريم سرًا على الشيخ محمد بن عيسى الغميري، وبعد ختمه للقرآن انتقل إلى لاغوس حيث كان تحت كفالة عمته حليلة، وهناك تم التحاقه بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي، ونال به شهادته: الإعدادية والتوجيهية، كما حصل على شهادة الليسانس، والدكتوراه بجامعة إورن، والدبلوم والماجستير بجامعة بايرو- كنو. وهو الآن من كبار أساتذة القسم العربي بجامعة إورن، وله ديوانان: الرياض والسباعيات بالإضافة إلى المؤلفات النثرية التي جادت بها قريحته.
- 5- عيسى ألي أوبكر، ديوان الرياض، مطبعة ألي جمبا للطباعة والنشر والتوزيع، إورن، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 166.
- 6- عيسى ألي أوبكر، المرجع نفسه، 167.
- 7- عيسى ألي أوبكر، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 8- عيسى ألي أوبكر، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 9- عيسى ألي أوبكر، عيسى ألي أوبكر، المرجع نفسه، ص: 156-157.
- 10- ولد الدكتور داؤد بن أحمد التجاني بن عبد القادر بن ذي القرنين بن نوح أديكليكن في بيت إيمالي بمدينة أيدِي في ولاية أوْشُن- نيجيريا سنة 1942م وكان من أحفاد الإمام الأول لمدينة أيدِي الشيخ نوح المتوفى 1902م.
- بدأ تعلم قراءة القرآن الكريم والمبادئ العربية الإسلامية عند عمه جمعة، الذي وضع قدميه على الطريقة التجانية في سن مبكرة، وقد اكتسب جلّ معلوماته بواسطة جهده الذاتي. التحق بمدرسة تاج الدين الابتدائية بأيدِي عام 1954م، ثم عُيّن مدرّسًا بها عام 1960م- 1978م ثم التحق بجامعة إبادن حيث حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز 1980م ثم على شهادتي الماجستير والدكتوراه بالجامعة نفسها عام 1984م و1990م.
- كان الدكتور داؤد شاعرًا مقلًا، وكاتبًا أكاديميًا ماهرًا يجيد اللغتين: العربية والإنجليزية علاوة على لغته الأم اليوروبية، له ديوان شعري تحت الطبع، وكان إمام جامعة إبادن منذ وقت تعلمه حتى وفاته سنة 2006م. (انظر: الشعر العربي السياسي لعلماء بلاد يوربا، نيجيريا: دراسة نقدية لصالح جمعة الأشو)
- 11- صالح محمد جمعة الأشو، المرجع السابق، ص:
- 12- صالح محمد جمعة الأشو، المرجع نفسه، ص:
- 13- هو عبد الرزاق عبد العزيز المبارك باديبو gbadabo، ولد في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي، ببيت أولوغن ologun، حارة أوْكي بآلي oke baale بمدينة أوشوبو عاصمة ولاية أوْشُن النيجيرية. تربى على أيدي أبيه الكريمتين الحاج عبد العزيز أجيدي والحاجة فضيلة أبيكي. تلقى قراءة القرآن ومبادئ العلوم العربية والإسلامية في كتاب الشيخ عبد الرشيد أليو alayo، المؤذن الأكبر لمدينة أوشوبو. دخل المدرسة الابتدائية لجماعة أنصار الدين بأوكي بالي وتخرج فيها عام 1986م، ثم قاده الحظ السعيد إلى الالتحاق بكلية أصول الدين والتربية الإسلامية لأئمة ولاية أوْشُن بين 1987 و1992م. وبعد ذلك التحق بكلية محيي الدين للدراسات العربية والإسلامية كليندي، إورن، ونال فيها الشهادة الثانوية عام 1997م، وشهادة الدبلوم عام 1999م، ثم درس الاقتصاد بجامعة إورن ونال فيها شهادة الليسانس، وحاليًا يحضّر الماجستير في علوم الاقتصاد في الجامعة نفسها. عمل مدرّسًا لمادة البلاغة بكلية دار الكتاب والسنة إورن بين 2000 و2013م. وهو إمام جامع دار السلام بزَنُغُو، إورن. انظر (الشعر العربي المعاصر في نيجيريا: قضايا واتجاهات)
- 14- مشهود محمود جمبا وآخرون، الشعر العربي المعاصر في نيجيريا: قضايا واتجاهات، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، مدينو النصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018م، ص: 155
- 15- مشهود محمود جمبا وآخرون، المرجع نفسه، ص: 155
- 16- هو عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، من مواليد إورن، ولد في أواسط السبعينيات، قرأ القرآن الكريم على الشيخ محمد ثاني أكنبي، قبل التحاقه بدار السعادة للتعليم العربي والإسلامي، أونيكيجا، إورن، للدراسة الابتدائية، ثم انتقل إلى مدرسة دار

العلوم لجبهة العلماء والأئمة بالورن، وأحرز فيها شهادتي الإعدادية والثانوية، ما بين 1993م و 200م، أخذ شينًا لا يستهان به من العلم بكلية التربية والعلوم الإنسانية، (جامعة الحكمة حاليا) حيث نال شهادة الدبلوم عام 2001م، ثم ساقه القدر إلى دولة بنين حيث درس بمعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية -، وحصل فيه على الليسانس في اللغة العربية 2005م، تمّ قبوله في جامعة ولاية نصر و حيث حصل على الماجستير في العربية عام 2012م، كما أنه يحضّر الدكتوراه في الجامعة نفسها، وهو حاليًا يعمل مدرّسًا ومنسقًا لشؤون الدبلوم بكلية الإيمان. (انظر: حصاد الأدبية)

17- من مخطوطات الشاعر الياقوتي.

18 – المرجع نفسه.

19- هو الأخ إسماعيل عبد الله المعروف بـ "هبة الله"، ولد بلاغوس عاصمة نيجيريا الفيدرالية السابقة، عام 1990م، نال الشهادة الابتدائية الحكومية في سنه المبكرة، قبل التحاقه بمدرسة الرشاد الإلهية حيث حصل على الشهادتين: الإعدادية والثانوية بتقدير الامتياز، ثم نال القبول بجامعة أحمد بلو، زاريا، لدراسة الدبلوم في علمي المكتبة والإعلانات (Library & Information Science)، ونال شهادتها عام 2006م، وفي الجامعة نفسها تمّ حصوله على شهادة الليسانس في الصحافة والإعلام (Mass Communication) سنة 2011م. وللأخ هبة الله جهود جبارة تنطق بالحق عن شغفه العلمي، وعن خدمته للعربية، لأنه شارك في مؤتمر علمي كثير، ومناسبات دينية وأدبية في مختلف ولايات نيجيريا، كما أن له ثلاثة دواوين عربية مطبوعة: "المرأة" – "حديث النفس" – " المشكاة". وصاحبنا هبة الله كان حاليًا مدرس البلاغة والأدب في مدرسة الرشاد الإلهية، لاغوس، نيجيريا. (مقابلة هاتفية بالتاريخ 17 \ 1 \ 2018م)

20- من مخطوطات الشاعر هبة الله، عنوانها "بلادي".

21- المصدر نفسه.

22- المصدر نفسه.